العدد 10 لسنة 2023
No 10 August 2023
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952-Electronic ISSN 2790-1254

الأثر المعنوي والنفسي للتهكم والمتهكمين

د. صلاح الدين وحيد الهواري
-استاذ في اللغة العربية وآدابها - جامعة الجنان
صبا عبد الحميد فاضل الدليمي
طالبة دراسات عليا - جامعة الجنان - لبنان
كلية الآداب والعلوم الإنسانية - قسم اللغة العربية

ملخص

يعاني كثير من " المثقفين " اليوم أزمة عنيفة بإزاء الدين.و هل الدين إحدى حقائق الحياة؟ وإذا كان كذلك في الماضي، أفما يزال كذلك اليوم، وقد غيّر العلم وجه الحياة، ولم يعد في الأرض مكان لغير العلم والحقائق العلمية؟ و هل الدين حاجة بشرية؟ أم هو " مزاج شخصي "، فمن شاء تدين، ومن شاء ألحد، وهذا وذاك سيان؟ ثم هم في أزمة عنيفة كذلك بشأن الإسلام. إن دعاة الإسلام يقولون للناس: إن هذا الدين نسيج وحده. إنه ليس مجرد عقيدة، ليس مجرد تهذيب للروح، وتربية للفضائل، بل هو إلى جانب ذلك نظام اقتصادي عادل، ونظام اجتماعي متوازن، وتشريع مدني، وتشريع جنائي، وقانون دولي، وتوجيه فكري، وتربية بدنية: كل أولئك على أساس من العقيدة، وفي مزاج من التوجيه الخلقي والتهذيب الروحي. و " المثقفون " في أزمتهم حائرون، فقد كانوا ظنوا أن الإسلام قد انتهى واستنفد أغراضه، ثم ها هم أولاء يفاجؤون بأصحاب الدعوة الإسلامية يقولون لهم: إن هذا الدين ليس شيئا من تراث الماضي السحيق يوضع اليوم في متحف الأفكار والنظم والعقائد، إنما هو كائن حي في هذه اللحظة، ويملك من مقومات الحياة في المستقبل ما لا يملكه أي نظام آخر عرفته البشرية حتى اليوم، بما في ذلك الاشتراكية والشيوعية.[1] عند ذلك تهزهم المفاجأة، فلا يملكون أنفسهم. ويصرخون: أهذا النظام الذي أباح الرق والإقطاع والرأسمالية.. النظام الذي يجعل المرأة نصف الرجل ويحبسها في دارها. النظام الذي يجعل عقوباته الرجم والقطع والجلد.. النظام الذي يترك أهله يعيشون على الإحسان، ويقسمهم طبقات بعضها يستغل بعضا، ولا يملك الكادحون فيه ضمانات العيش الكريم.. النظام الذي صنع كذا وكذا.. أيمكن أن يعيش اليوم، فضلا عن المستقبل؟ أهو نظام يستطيع في الصراع الجبار الذي يقوم اليوم بين النظم الاجتماعية والاقتصادية القائمة على أسس " علمية! " أن يقف على رجليه، فضلا عن المصارعة والكفاح![2]

كلمات مفتاحية : متهكم ، متهكمين

The Moral And Psychological Impact Of Cynicism And Cynics

Dr. Salah El-Din Waheed El-Hawary
-Professor of Arabic Language and Literature - Jinan University
Saba Abdel-Hamid Fadel Al-Dulaimi
Postgraduate student - Jinan University - Lebanon
Faculty of Arts and Humanities - Department of Arabic Language

Abstract:

Today, many "intellectuals" are suffering from a violent crisis about religion. Is religion one of the facts of life? And if it was like that in the past, is it still like that today, when science has changed the face of life, and there is no longer a place on earth except for science and scientific facts? And is religion a human need? Or is it a "personal mood", so whoever wants to condemn, and whoever

[1] بن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد رشد القرطبي، بداية ا تهد، دار الكتب الإسلامية، ص 55
[2] ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم أبو محمد، تأويل مختلف الحديث، بيروت: دار الجيل، 1393 هـ – 1972 م، ص 55

wants to limit, and this and that are the same? Then they are also in a violent crisis about Islam.The advocates of Islam say to people: This religion is a fabric alone. It is not mere doctrine, not merely the edification of the soul, the education of virtues, but besides that it is a just economic system, a balanced social order, civil legislation, criminal legislation, international law, intellectual guidance, physical education: all these on the basis of faith, in temperament Moral guidance and spiritual refinement.And the "intellectuals" in their crisis are confused, as they thought that Islam had ended and exhausted its purposes, then here they are surprised by the companions of the Islamic call telling them: This religion is not something from the heritage of the immemorial past that is placed today in the museum of ideas, systems and beliefs, but rather it is a living being At this moment, it possesses the elements of life in the future that no other system known to humanity has until today, including socialism and communism.Then the surprise shakes them, so they don't control themselves. And they shout: Is this the system that legalized slavery, feudalism and capitalism... the system that makes women half the man and imprisons her in her home? The regime whose punishments are stoning, amputation, and flogging.. The regime that allows its people to live on benevolence, and divides them into classes, some of which exploit others, and the toilers do not have the guarantees of a decent life.. The regime that made such-and-such.. Can it live today, let alone the future? Is it a system that, in the mighty struggle that is taking place today between social and economic systems based on “scientific” foundations, can stand on its own two feet, let alone wrestle and struggle.

Keywords: cynic, cynic

مقدّمة

التهكّم هو الكلام الذي يذكر في غير سياق التواصل المتعارف عليه بهدف النيل سلبًا من مقولة أو فكرة أو معتقد أو كائن، فيكسر تواتر مسار الحديث من المسار الجد إلى مسار هزل وهو فن يرسم الضحكة على الوجوه ولكنه يورث جرحًا وينوي شرًا على عكس التندر الذي لا يهدف من وراءه الإهانة أو التعرض

التهكم: وهو السيل الذي لا يطاق، والتهكم تهور البئر، وتهكمت البئر: تهدمت. والتهكم: الطعن المدارك، فالمادة فيها الهجوم بقوم وبصوت مسموع، كذلك فهي تصف صاحبها بالكبرياء: فالمتهكم: المتكبر، والهكم: المتقحم على ما لا يعنيه الذي يتعرض للناس بشره، وقد تهكم بنا: عبث بنا وزرى علينا. إذن: فالتهكم: استهزاء في قوة، وعدم خفاء، وفي تقحم.[3]

و نظرت في كتب اللغة والمعاجم أجد لفظ التهكم مشتق من (هكم)، و تأتى على عدة معان. هذا اللفظ تدور حول معنى : الموت، التحريك، الكسر، والسخرية. ولكل من هذا المعاني المصطلح الذى يتعلق ذا الموضوع. استعمال يخصه، وسأذكر كلام أهل اللغة في كل من هذه المعاني حتى أصل إلى المقصود، وتحرير المصطلح الذي يتعلّق بهذا الموضوع .

[3] ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت : دار صادر، ط. الأول، مادة هكم

و من تهكم الله عز وجل على كفار قريش في سورة ص حيث قال تعالى في قُرْآنهِ الْمُبينُ أمْ لهُمْ مُلْكُ السمواتِ والْأرْضِ وما بيْنهُما فلْيرْتقُوا فِي الْأسْبابِ [4]

{أمْ لهُمْ مُلْكُ السمأواتِ والأرْضِ وما بيْنهُما}؟ أي هل لهم شيء من ملك السماوات و الأرض؟ و هو إنكار و توبيخ {فلْيرْتقُوا فِي الأسْبابِ} أي أن كان لهم شيء من ذلك فليصعدوا في المراقي التي توصلهم إلى السماء، و ليدبروا شؤون الكون؟ و هو تهكم بهم و استهزاء، قال الزمخشري: تهكم بهم غاية التهكم، فقال: إن كانوا يصلحون لتدبير الخلائق، والتصرف في قسمة الرحمة، و كان عندهم من الحكمة ما يميزون بها بين من هو حقيقٌ بالنبوة من غيره، فليصعدوا في المعارج التي يتوصلون بها إلى العرش، حتى يستووا عليه ويدبروا أمر العالم، و ينزلوا الوحي على من يختارون، و هو غاية التهكم بهم.[5]

و الدين الاسلامي يشتمل على أتم المناهج للحياة الانسانية الذي عرفت أسسه وتشريعاته فإن الإسلام لم يترك أي جانب من جوانب الحياة البشرية إلا عنده من طريق القرآن الكريم. منها : المحافظة على صحة الدين. فقد حذر الله سبحانه وتعالى المؤمنين و اهم موقف في ذلك. عن خُلق التهكم ، لكي يقوم المجتمع المسلم على الصدق والحق والاحترام والجدية،[6]

معنى التهكم في الاصطلاح من حيث كلام العلماء وحده وهو قليل جدا، لأن لفظ التهكم أو السب والشتم والتنقص ليس من السهل وضع حد له يجمع أطرافه، ويحدد مصطلحه، يصعب على أهل العلم وضع حد لها، لأنه باب واسع يدخل فيه الأذى والطعن، والتحقير والتنقيص، والعيب الله عما يقول الساخرون والمستهزؤن. بل يرجع في ذلك إلى العرف، فما تعارف الناس أنه استهزأ بالله أو رسوله أو بدينه فهو كذلك.[7]

التهكّم في العقيدة الإسلاميّة

ينهى الله تعالى رسوله ﷺ والمؤمنين عن سب الآلهة التي يعبدها المشركون، لكيلا يقوم هؤلاء بسب الله، الذي يعبده المؤمنون، عدوا وتجاوزا منهم للحد في السباب والمشاتمة، ليغيظوا المؤمنين، وهم جاهلون بالله، وبما يستحقه تعالى من التقديس والإجلال فإن فالحقيقة الكاملة أنه لن يحفظ على الإنسان دينه إلا إذا كان الإسلام حاضرا. والاحترام. الله سبحانه وتعالى جعل هذا الإسلام طريقاً وحيداً فريداً لصلاح الدنيا والآخرة.[8]

يجب على المسلم أن يعظِّم الله حقّ عظمته، وأن يعظِّم ما عظمه اللهُ مما فيه ذِكرُ الله، أو القرآن، أو الرسول ﷺ وأن يعظِّم حُرماتِ المسلمين، لأن أصل الدين مبنيٌّ على تعظيم الله، وتعظيمِ دينه ورسله، و التهكم بشيء من ذلك منافٍ لهذا الأصلِ ومناقضٌ له أشد [9] قال ابن تيمية رحمه الله : "من استخلف به و استهزأ بقلبه المناقضة، فهو من نواقض الإسلام. امتنع أن يكون منقادا لأمره، فإن الانقياد إجلال و إكرام و الاستخفاف إهانة و إذلال، و هذان ضدان، فمتى حصل في القلب أحدهما انتفي الآخر. فاعلم أن الاستخفاف و الاستهانة به ينافى بمعنى لا يمكن أن يجمع التهكم مع الإيمان بالله عزا وجل، فلا يمكن أن يكون الإنسان عنده إيمان ويستهزئ بالله وبرسوله .[10]

التهكم بالله، وبالرسول ﷺ أو بسنة من سننه، و آياته أو بحكم من أحكامه و بشعيرة من شعائر الإسلام من نواقض الإسلام منتشرة بين كثير من الناس في هذا الزمان، فكل إنسان يمكن أن تغلبه نفسه فيقع في

---

[4] ص ، الآية 10
[5] أبو بكر جابر الجزائري، منهاج المسلم، (بيروت لبنان : دار الفكر، د. ت)، ص.55
[6] عبد الله بن جار الله، تحذير المسلمين عن السخرية و التهكم بالدين، (د. ب)، ص. .22
[7] محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، إحياء علوم الدين، (إندونيسيا : دار إحياء الكتب العربية، د. ت)، الجزء الثالث، ص. 128.
[8] سعيد حوى، "الإسلام." (مزيدة و منقحة، 1399 هـ - 1979 م)، الطبعة الثانية. ص .15
[9] عبد الله بن جار الله، تحذير المسلمين عن السخرية و التهكم بالدين، (د. ب)، ص. .2
[10] أسعد محمود حومد، أيسر التفاسير، (دمشق، 1412 هـ - 1992 م)، الجزء الأول، ص .347

المعصية، هذا شيء و التهكم بدين الله وشعائره شيء أخر. فالواجب على المسلم أن يعرف ما يتعلق ذا الناقض، وأن يحذر من الوقوع فيه، وأن ينكر على من يقع فيه حسب استطاعته، حتى يسلم له دينه وتبرأ ذمته أمام الله تعالى، ومن ذلك قوله تعالى : (وإذا رأيْت الذِين يخُوضُون فِي آياتِنا فأعْرِضْ عنْهُمْ حتى يخُوضُوا فِي حدِيثٍ غيرِهِ وإما يُنْسِينك الشيْطانُ فلا تـقْعُدْ بـعْد الذِّكْرى مع الْقوْمِ الظالِمِين)[11]

من هذا البيانات أجد أن التهكّ/ معناه : انتقاص الله سبحانه وتعالى والسخرية منه، التهكم بالدين يشمل أو انتقاص الرسول والسخرية منه، أو انتقاص الدين والسخرية به. كل قولٍ أو فعلٍ يدل على الطعن في الدين، والتنقص منه، والاستخفاف به، كمن إذا ذُكِرت عنده شيء من آيات الله أو أسمائه سبحانه أو أوصاف رسوله ﷺ فيمد شفته ![12]

إذن، فإظهار كل قول أو فعل يدل بحسب ما يتعارف عليه الناس ويفهمونه من لغتهم على الانتقاص أو الاستخفاف بالله ورسوله، أو القرآن والسنة، أو شيء من شعائر هذا الدين، فهو من التهكم المخرج من الملة. لا يظهر التهكم بالدين في النية، وإنما يظهر في القول والفعل، فهو متصور واضح. والمقصود هنا أن من أتى بفعل أو قول طائعا مختارا ليطعن به في الله سبحانه، أو أنبيائه صلوات الله عليهم وسلامه، أو الملائكة، أو شيئ من الدين، فقد ارتكب ما يوجب الكفر والردة عن دين الإسلام[13]

- التهكم في القرآن الكريم

يقص علينا القرآن الكريم أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام والمكذبين من أقوامهم، حيث كان هؤلاء بعد أن تعييهم الحيلة في أن يردوا الأنبياء عن دعوة الحق، وبعد أن يظهر في مقام ا ادلة ضعف حججهم وفساد عقيد م أمام الحجج الباهرة والأدلة القاطعة على صدق الأنبياء وصحة ما جاؤوا به من لدن ر بهم[14]، كانوا يلجؤون إلى السخرية و التهكم ، وإمعاناً في التكذيب يستعجلون أنبياءهم بالعذاب الذي توعدوهم به. لقد أخبرنا الله في كتابه العزيز أن هذه الظاهرة والضعف على المؤمنين، وليصد به الناس عن سبيل الله تعالى. الذميمة سلاح من أسلحة الشيطان يقذفه على ألسنة الكفار والمنافقين، ليدخل به الوهن إنّ في هٰذه الآيات الكريمات عظات بالغات، ودلالات بيّنات، وتحذيرات عظيمات من هٰذا المنزلق الخطير والإثم الكبير ألا وهو التهكم بالله، أو بدين الله، أو بآيات الله، أو برسول الله ﷺ، أو بعباد الله وأوليائه الصالحين. فمن تأمل هذه من الآيات القرآنية يجد دلالة الأثر الذي تركه التهكم و المتهكمون في القرآن الكريم ، وذلك لضرورة الأخذ به .

في القرآن الكريم سورة عظيمة تسمّى (الفاضحة) ؛ وهي من أواخر سور القرآن نزولًا على رسول الله ﷺ ؛ ألا وهي سورة التّوبة ، قال قتادة - رحمه الله تعالى -: هٰذه السُّورة تسمّى الفاضحة ؛ فاضحة المنافقين.

وهٰذه السُّورة - عباد الله - فضح الله جلّ وعلا فيها المنافقين ، وهتك أستارهم ، وبيّن فضائحهم ومخازيهم، وأخرج جلّ وعلا ما يُبطنون في قلوبهم وصدورهم من حقدٍ وكيدٍ وحسد على الإسلام وأهله.[15]

وقد كان من شأن المنافقين وحالهم إذا خلا بعضهم إلى بعض اجتمعوا على التهكم بالدِّين ، والسُّخرية بعباد الله المؤمنين، والتهكُّم بأعمال الدِّين العظيمة وطاعاته الجليلة وعباداته الفاضلة ، و التهكم بمن كان متمسِّكًا بدين الله محافظًا على طاعة الله ، ثم إذا ختموا مجلسهم تخوّفوا وحاذروا أن تُنزّل سورة تفضحهم وتهتك سترهم وتبيّن مخازيهم ، يقول الله تعالى: ﴿ يحْذرُ الْمُنافِقُون أن تُنزّل علَيْهِمْ سُورةٌ تُنبِّئُهُمْ بِما فِي

---

[11] الأنعام ، 5
[12] عبد الله بن عبد الرحمن السعد، خطورة التهكم بالدين، (دار المحدث، د. ت)، ص 6.
[13] محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، إحياء علوم الدين، ص 100
[14] الألوسي، شهاب الدين محمود ابن عبدالله الحسيني روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت لبنان : دار الفكر، 1414هـ - 1993 م، ص 55
[15] الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، بيروت، دمشق : دار الفكر المعاصر، 1418 هـ، ط. : الثانية، ص 100

قُلُوبِهِم قُلِ اسْتَهْزِءُواْ إِنّ الله مُخْرِجٌ مّا تحْذرُون ﴾ [16]؛ وقوله جلّ وعلا ﴿ قُلِ اسْتَهْزِءُواْ ﴾ خرج مخرج الوعيد والتهديد[17] ، ﴿إِنّ الله مُخْرِجٌ مّا تحْذرُون ﴾ أي : ما تحذرون من خروجه وفضحكم به ونشره بين الناس ، ﴿ إِنّ الله مُخْرِجٌ ﴾ أي : فاضح لكم أيُّها المنافقون بهتْكِ أستاركم وكشْف مخازيكم وبيان ذلك لعباد الله المؤمنين.[18]

عباد الله : فنزلت سورة التوبة فاضحة للمنافقين؛ ولهذا نرى في هٰذه السُّورة في مواضع عديدة منها يذكر الله جلّ وعلا في أوصاف المنافقين فيبدأ آياتٍ عديدة بقوله : ﴿الَّذِين ﴾ أو قوله: ﴿ ومِنْهُم ﴾ إلى غير ذلك من ذكرٍ لأوصاف المنافقين وفضحٍ لهم. ولقد كان فضْح المنافقين في هٰذه السُّورة فضحًا لهم بذكر أوصافهم ونعوتهم وخصالهم وخلالهم دون ذكرٍ للأسماء ؛ وذلك ليبقى الأمر حُكمًا عامًّا إلى قيام الساعة في كل من كان متّصفا بصفات المنافقين. [19]

﴿ يحْذرُ الْمُنافِقُون أن تُنزّل عليْهِمْ سُورةٌ تُنبّئُهُمْ بِما فِي قُلُوبِهِم قُلِ اسْتَهْزِءُواْ إِنّ الله مُخْرِجٌ مّا تحْذرُون (64) ولئِن سألْتهُمْ ﴾ أي : عن هٰذا التهكم وعن هٰذه السخرية ما سبب ذلك ؟ وما القصد من وراء ذلك ؟ ﴿ولئِن سألْتهُمْ ليقُولُنّ إِنّما كُنّا نخُوضُ ونلْعبُ ﴾ أي : سيقولون لم نقصد حقيقة التهكم ، ولا أردنا حقيقة الاستخفاف والتهكّم ، وإنما أردنا الخوض واللّعب ، ومؤانسة الأصدقاء ، وتمضية الأوقات ، والتّسلية في المجالس، ليس قصدًا منّا في حقيقة التهكم والتهكُّم .

﴿ ولئِن سألْتهُمْ ليقُولُنّ إِنّما كُنّا نخُوضُ ونلْعبُ قُلْ أبِاللهِ وآياتِهِ ورسُولِهِ كُنتُمْ تسْتهْزِئُون ﴾ أي : أبلغ بكم الحال ووصل بكم الأمر إلى أن يكون التهكم منكم بالله ربِّ العالمين ؟! وبآيات ه وذكره الحكيم ؟! وبرسوله الكريم ﷺ ؟! [20]

ومن المعلوم أن الإيمان والدِّين مبني على أصل عظيم وأساس متين ألا وهو تعظيم الله وتعظيم آياته وتعظيم شرعه وتعظيم رسوله ﷺ ، و التهكم بذلك منافٍ كل المنافاة لتعظيم الله ؛ ولهذا كان المستهزئ بالله أو بدين الله أو بآيات الله أو برسول الله ﷺ كافرًا بالله العظيم وإن لم يقصد حقيقة التهكم بإجماع أهل العلم.

قال جلّ وعلا: ﴿ ولئِن سألْتهُمْ ليقُولُنّ إِنّما كُنّا نخُوضُ ونلْعبُ قُلْ أبِاللهِ وآياتِهِ ورسُولِهِ كُنتُمْ تسْتهْزِئُون (65) لا تعْتذِرُواْ قدْ كفرْتُم بعْد إِيمانِكُمْ ﴾ ؛ وقوله جل وعلا : ﴿ قدْ كفرْتُم بعْد إِيمانِكُمْ ﴾ فيه دلالة على أنّ هؤلاء النفر كان عندهم إيمان ضعيف ، لكن هٰذا الإيمان خرج منهم بهذا التهكم ؛ فكان الأمر كذلك في كل مستهزئ بالله أو بكتاب الله أو بشرع الله أو برسول الله ﷺ ، ولا ينفعه عذرًا في هٰذا الباب أمام الله أن يقول: إنما أردت بذلك الخوض واللّعب وتمضية الأوقات.[21]

﴿ لا تعْتذِرُواْ قدْ كفرْتُم بعْد إِيمانِكُمْ إِن نّعْفُ عن طآئِفةٍ مّنكُمْ نُعذِّبْ طآئِفةً بِأنّهُمْ كانُواْ مُجْرِمِين ﴾ ؛ نعم !! كانوا مجرمين أعظم الإجرام ، ومرتكبين لأعظم الآثام ، إذ كيف يليق بعاقل أو يصحّ من إنسان سويّ أن يبلغ به الحال إلى التهكم بذي العظمة والجلال أو بشرعه الحكيم، أو برسوله الكريم، أو بدينه القويم سبحانه وتعالى !! .[22]

---

[16] التوبة ، 64
[17] السعد، عبد الله بن عبد الرحمن، خطورة الإستهزاء بالدين، دار المحدث، ص 107
[18] الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تفسير القرآن العظيم، مكتبة النور العلمية، 1416 هـ \ 1995 م، ص 1022
[19] الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، بيروت، دمشق : دار الفكر المعاصر، 1418 هـ، ط. : الثانية، 126/1
[20] العسقلاني،أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر، بلوغ المرام من أدلة الأحكام، بيروت لبنان : دار الفكر، 1417 هـ - 1997 م، ص 77
[21] المصدر نفسه ، ص 55
[22] السعد، عبد الله بن عبد الرحمن، خطورة الاستهزاء بالدين، دار المحدث، ص 108

ولهذه الآيات - عباد الله - سبب نزول أورده الإمام ابن جرير في تفسيره وغيره من أهل العلم وهو بإسناد حسن من حديث ابن عمر - رضِي اللهُ عنْهُما – وحديث غيره من الصحابة أنّ رجلا من المنافقين قال: " ما رأينا مثل قرّائنا هؤلاء " ؛ يقصد قراء القرآن ، يقصد الرّسول عليْهِ الصّلاةُ والسّلامُ والصّحابة الكرام . قال: " ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء " ؛ فوصفهم بالشّره في طلب الطعام ، ووصفهم بالكذب في الحديث ، ووصفهم بالجبن عند اللقاء ؛ وكل هذه الأوصاف الثلاثة أوصاف للمنافقين برّأ الله منها رسوله الكريم ﷺ وصحابته الكرام[23] - رضي الله عنهم وأرضاهم وحاشاهم من ذلك - فقال عوف بن مالك رضي الله عنه : "كذبت ولكنّك منافق؛ لأخبرنّ بذلك رسول الله ﷺ " ؛ وفي هذا من الفائدة : إبلاغ وليّ الأمر بأحوال أهل الفجور والفساد للأخذ على أيديهم وكفِّ شرهم وفسادهم . فذهب رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ ليخبره بالخبر ؛ فوجد أنّ القرآن قد سبقه بذلك ، فنزلت آيات على رسول الله ﷺ تفضح هؤلاء المتهكمين السّاخرين وتبيّن كفرهم بربِّ العالمين. ثم إنّ ذلك الرّجل جاء إلى النّبيّ – عليْهِ الصّلاةُ والسّلامُ- ووجده قد ارتحل وركب دابته فأخذ بنسعة ناقة رسول الله - أي زمامها - وهو يقول : " يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب " ، فكان رسول الله ﷺ لا يلتفت إليه ولا يزيد أن يقول : ﴿ أبِاللهِ وآياتِهِ ورسُولِهِ كُنتُمْ تسْتهْزِئُون (65) لا تعْتذِرُواْ قدْ كفرْتُم بعْد إِيمانِكُمْ﴾ .

عباد الله : إنّ في هذه الآيات الكريمات عظات بالغات ، ودلالات بيّنات ، وتحذيرات عظيمات من هذا المنزلق الخطير والإثم الكبير ألا وهو التهكم بالله ، أو بدين الله ، أو بآيات الله ، أو برسول الله ﷺ ، أو بعباد الله وأوليائه الصالحين ، وسواءً كان هذا التهكم بكلام يقوله المستهزئ ، أو بفعل يفعله ، أو بحركة تصدر منه ف التهكم هو التهكم أيًّا كانت صفته وهيئته ؛ كمن إذا ذُكِرت عنده شيء من آيات الله أو أسمائه سبحانه أو أوصاف رسوله ﷺ فيمد شفته ! أو يغمز بعينه ! أو يُخرج لسانه ! أو غير ذلك من صفات التهكّم و التهكم [24] ، فكلّ ذلكم - والعياذ بالله - من الموبقات العظام والمهلكات الجِسام ، حمانا الله جميعا من ذلك ، وهدانا إلى تعظيم دينه والمحافظة على شرعه والتمسّك بأخلاق الإسلام وآدابه العظام ؛ إنّه جلّ وعلا سميع الدّعاء وهو أهل الرّجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الأثر النّفسي للتهكم

أوّلاً: الخذلان و عقاب الله لهم

في القرآن الكريم ما يقرُب من عشر آيات ختمها الله جلّ وعلا في شأن المتهكمين بالأنبياء والمرسلين المتهكمين بما جاؤوا به من الآيات والذِّكر الحكيم بقوله: ﴿وحاق بِهِم مّا كانُواْ بِهِ يسْتهْزِءُون ﴾ ، وفي هذا أنّ المكر السّيئ لا يحيق إلّا بأهله ؛ أي: لا ينزل ولا يحل إلا بهم ، ولهذا فإنّ سنة الله - جلّ وعلا - ماضية في خلقه أن يفضح المتهكمين ، وأن يهتك أستارهم ، وأن يُجِلّ - جلّ وعلا - بهم عقوبته ونكاله وعذابه ﴿ ولا يحِيقُ الْمكْرُ السّيِّئُ إِلاّ بِأهْلِهِ ﴾ [25]، يقول جلّ وعلا : ﴿ اللّهُ يسْتهْزِئُ بِهِمْ ويمُدُّهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يعْمهُون ﴾[26]. قد يتمادى الأمر بالمستهزئ عندما يرى نفسه مع استهزائه وسخريته مُمتّعاً بالصحة والعافية ، مُمدًّا بالمال والأولاد والرزق ؛ فيكون ذلكم وبالًا عليه ، لأنّ نعمة الله - جلّ وعلا- ورزقه لا يزال نازلًا به وهو لا يزال متهكِّمًا بدين الله ساخرًا بآيات الله - جلّ وعلا- إلى أن يحيق به العقاب وينزل بساحته العذاب .[27]

---

[23] الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، جامع البيان في تأويل القرآن، مكتبة ابن تيمية، ط. الثانية، ص 55

[24] المصدر نفسه ، ص 60

[25] فاطر ، 43

[26] البقرة:15

[27] الطاهري، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، بيروت لبنان : دار الفكر، 1403 هـ - 1983 م، ص 44

عباد الله : صلّوا وسلِّموا - رعاكم الله - على محمّد بن عبد الله كما أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿ إنّ الله وملائِكتهُ يُصلُّون على النّبِيّ يا أيُّها الّذِين آمنُوا صلُّوا عليْهِ وسلِّمُوا تسْلِيماً ﴾ [28]، وقال ﷺ : ((منْ صلّى عليّ صلاةً صلّى اللهُ عليْهِ بِها عشْرًا)) .

اللّهمّ صلِّ على محمّد وعلى آل محمّد كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنّك حميد مجيد ، وبارك على محمّد وعلى آل محمّد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنّك حميد مجيد، وارض اللّهمّ عن الخلفاء الرّاشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن الصّحابة أجمعين وعن التّابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين. [29]

اللّهمّ وأعزّ الإسلام وأهله في كل مكان، يا ذا الجلال والإكرام . اللّهمّ أعزّ الإسلام وأهله في كل مكان يا ذا الجلال والإكرام . اللّهمّ أعزّ الإسلام وأهله في كل مكان يا ذا الجلال والإكرام . اللّهمّ وفقنا جميعا لهُداك، واجعل عملنا في رضاك، وأعنّا على طاعتك وجنّبنا إلـٰهنا كل أمر يسخطك وتأباه.

ومن المعلوم أن الإيمان والدِّين مبني على أصل عظيم وأساس متين ألا وهو تعظيم الله وتعظيم آياته وتعظيم شرعه وتعظيم رسوله ﷺ والمحبة والإجلال والإكرام، و التهكم بذلك منافٍ كل المنافاة لتعظيم الله. أن الله سبحانه وتعالى واحد، أحد، فرد، صمد، لم يلد ولم يولد، أول بلا إبتداء آخر بلا انتهاء، هو القوي العزيز، الجبار الكبير، المتعال، الذي لا يعجزه شئ في الأرض ولا في السماء، له صفات الكمال والجلال : (ليس كمثله شئ وهو السميع البصير)[30]

وقد كان من شأن المنافقين وحالهم إذا خلا بعضهم إلى بعض اجتمعوا على التهكم بالدِّين، والسخرية بعباد الله المؤمنين، والتهكم بأعمال الدِّين العظيمة وطاعاته الجليلة وعباداته الفاضلة، و التهكم بمن كان متمسِّكًا بدين الله محافظًا على طاعة الله، ثم إذا ختموا مجلسهم تخوّفوا وحاذروا أن تُنزل سورة تفضحهم و تك سترهم وتبينّ مخازيهم. وقال تعالى عن التهكم والسخرية والتنقص بالله تعالى : يحْذرُ الْمُنافِقُون أنْ تنـزل عليْهِمْ سُورةٌ تُنبِّئُهُمْ بما في قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتـهْزِئُوا إن الله مخْـرِجٌ ما تحْذرُون (64) ولئِنْ سألْتـهُمْ ليـقُولُن إنما كُنا نخُوضُ ونـلْعبُ قُلْ أبِاللهِ وآياتِهِ ورسُولِهِ كُنْتُمْ تسْتـهْزِئُون (65) لا تـعْتذِرُوا قدْ كفرْتمْ بـعْد إيمانِكُمْ إنْ نـعْفُ عنْ طائِفةٍ مِنْكُمْ نُـعذِّبْ طائِفةً بِأنـهُمْ كانُوا مجْـرِمِين (66)[31]

قال قتادة: هذه الأية نزل بينما رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وبين يديه ناس من المنافقين إذ قالوا: يرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصو ا هيهات له ذلك، فقالوا: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، فأنزل الله تعالى هذه الآية. فأطلع الله نبيه على ذلك، فقال نبي الله: اجلسوا على الركب فأتاهم فقال: قلتم كذا وكذا ؟ وقال زيد بن أسلم ومحمد بن وهب: قال رجل من المنافقين في غزوة تبوك: ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء، يعني رسول الله ﷺ وأصحابه، فقال عوف بن مالك: كذبت ولكنك منافق لاخبرن رسول الله ﷺ فذهب عوف ليخبره[32]، فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله صلى بحديث الركب نقطع به عنا الطريق. الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب ونتحدث أخبرنا أبو نصير محمد بن عبد الله الجوزقي، أخبرنا بشر بن أحمد بن بشر، حدثنا أبو جعفر محمد بن موسى الحلواني، حدثنا محمد بن ميمون الخيا ط، حدثنا إسماعيل ابن داود المهرجاني، حدثنا مالك بن أنس، عن نافع، عن ابن عمر قال: رأيت عبد الله ابن أبي

---

[28] الأحزاب:٥٦

[29] الطاهري، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، بيروت لبنان : دار الفكر، 1403 هـ - 1983 م، ص 74

[30] الشورى ، الآية 11

[31] التوبة 66

[32] آل عبداللطيف، عبدالعزيز بن محمد بن علي، نواقض الإيمان القولية والعملية، الرياض : مدار الوطن، 1427هـ، ط. الثالثة، ص 88

يسر قدام النبي ﷺ والحجارة تنكته وهو يقول: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، والنبي ﷺ يقول: أباالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون.[33]

ثانياً : الهزل في الدين و أحكامه

إن هذه الآيات الكريمة تدل دلالة واضحة على أن الهزل في الدين وأحكامه، والخوض في كتاب الله ورسله وصفاته بغير علم يعد جهلا وكفرا، لأن الهزل أخو الباطل والجهل، والإيمان يتطلب الأدب والعلم وتعظيم الله وآياته وأنبيائه. قال شيخ الإسلام : فإن التهكم ذه الأمور متلازم، فإن من استهزأ بآيات الله تعالى التى جاء ا الرسول ﷺ فهو مستهزئ بالرسول ﷺ ضرورة، ومن استهزأ بالرسول ﷺ فهو مستهزئ برسالته حقيقة، ومن استهزأ بآيات الله ورسلوله فهو مستهزئ به، ومن استهزأ باالله فإنه مستهزئ بآيات ه ورسوله بطريق الأولى. أن المسلم قد يكفر بكلمة يقولها[34]، أو فعل يعمله، أو إعتقاد ينطوي عليه القلب، لأن الفقهاء قد ذكر أن الكفر أنواع : فمنه ما هو إعتقاد أو نطق أو فعل أو نية. كما نعلم أن الإيمان أصل له شعب متعددة، كل شعب منها تسمى إيمانا، وكذلك الكفر ذو أصل متعددة، كل شعب منها تسمى كفرا. لكن لا يلزم من انتفاء بعض هذه الشعب انتفاء أصل الإيمان كما هو قول خوارج والمعتزلة، كما لا يلزم من وجود بعض الشعب الكفر في المسلم وجود أصل الكفر وانتفاء ما يضاده. فقد يكون الإنسان مؤمنا وعنده بعض شعب الكفر، ولا يكون ا كافرا كما أنه قد يكون كافرا عنده بعض شعب الإيمان ولا يكون مؤمنا. إلا أن هذه الشعب تتفاوت فمنها ما هو ناقض الإيمان محقق لأصل الكفر ك التهكم ، ومنها ما ليس كذلك. ولكن قد فرق أهل السنة والجماعة مسألة التكفير بين العمل أو القول فهم لا يكفرون المعين إلا بعد تحقق الشروط وانتفاء الموانع. وقضية التكفير من المسائل الشرعية التى لا بد من الإستناد فيها إلى نص واضح وبرهان قاطع.[35]

ثالثاً : الاعتبار في الإقلاع عن الشرك

أن السخرية و التهكم باالله تركة يتوارثها الكفار والمنافقون كابرا عن كابر حتى في عصرنا الحاضر، سأضرب الأمثلة التى وقع فيها التهكم باالله سبحانه وتعالى : أعظم صورة من صور التهكم الشرك باالله تعالى في ألوهيته وربوبيته، وهذا كما فعل قوم نوح على شكل عبادة الأصنام، و من جاء بعدهم من عاد، وثمود، وأهل سدوم، وأهل مدين، وغيرهم هؤلاء الضالين مستخفون بتوحيد الله،[36] وإذا أمروا بالتوحيد و وا عن الشرك [37] استخفوا به. وقد ورد النهي عن الشرك في قوله تعالى : وقال الله تعالى : وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنـهَارُ وَالشمْسُ وَالْقَمَرُ لاَ تَسْجُدُوا لِلشمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلهِ الذِي خَلَقَهُن إِنْ كُنْتُمْ إِياهُ تَعْبُدُونَ {الفصلت : 37}، وَاعْبُدُواْ اللهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئا... {النساء36:}. وأيضا عن عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ صَلى الله عليه وسلم يـقُوْلُ : قَالَ اللهُ تـعَالىَ : يَا ابْنَ آدَمَ، إِنكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَاكَانَ مِنْكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بـلَغَتْ ذُنـوْبُكَ عَنَانَ السماَءِ ثمُ اسْتـغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ، إِنكَ لَوْ أَتـيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطاَياَ ثمُ لَقِيْتَنِي [38]

فواجب علينا حفظ الدين من الطعن والإستهانة والسخرية و التهكم به، وتعظيم شعائره، ومبادئه وأحكامه وعقائده. ولكن في الحقيقة المرة التي نشاهدها اليوم هي أن التهكم الفاضح والسخرية اللاذعة بدين الله

---

[33] بي الحسن علي ابن أحمد الواحدي النيسابوري، أسباب النزول، (بيروت لبنان : دار الفكر، 1411 هـ - 1991 م)،ص 167

[34] المصدر نفسه ، ص 89

[35] أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تلخيص كتاب الاستغاثة، (المدينة المنورة : مكتبة الغرباء الأثرية، 1417 هـ)، الطبعة الأولى ، الجزء الثاني، ص. 666.

[36] العسقلاني،أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر، بلوغ المرام من أدلة الأحكام، بيروت لبنان : دار الفكر، 1417 هـ - 1997 م، ص 77

[37] محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (مكتبة ابن تيمية، د. ت)، الطبعة الثانية ، الجزء إحدى عشر، ص. 252.

[38] صحيح الترمذي ، ص 158، حديث صحيح

وشريعته وسنة نبيه واضحة لكل ذي عينين قال الله تعالى : ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي وما أنذروا هزواً [39]وقد ذكر العلماء أن التهكم بآيات الله وشرعه من أشد أنواع التكذيب. الصورة المشينة والتي تلتقي كلها على حرب دين الله وهدمه. تعالى: وإذا رأوا آية يستسخرون [40]وسأضرب أمثلة لهذه الصورة المشينة والتي تلتقي كلها على حرب دين الله وهدمه.

خاتمة

في ضوء ما تقدم ومن خلال دراسة موضوع التهكّم بالدين وأهله في القرآن الكريم نخلص إلى النتائج التالية :

1. أن كلمة التهكم تدور حول عدة معان، وهى الموت، والتحريك، والكسر، و التهكم . وقد تكرر لفظ "هزأ ومشتقه" في القرآن الكريم، وهذا يدور في عدة صيغ.
2. من استهزأ بآيات الله تعالى التى جاء بها الرسول ﷺ فهو مستهزئ بالرسول ﷺ ضرورة، ومن استهزأ بالرسول صلى فهو مستهزئ به، ومن استهزأ بالله فإنه مستهزئ بآيات ه ورسوله بطريق الأولى. الله عليه وسلم فهو مستهزئ برسالته حقيقة، ومن استهزأ بآيات الله ورسله
3. إن موقف المسلم من المستهزئين لا يخلو من حالين : أحدهما : في حال الاستضعاف وقلة الناصر والمعين، فالواجب الصبر على الأذى، وكف الأيدي، وإقامة الصلاة وتربية النفس والأمة على الفضائل واستكمالها ريثما تعود الأمة إلى دينها، ويمكن لها في الأرض وترفع راية الجهاد في سبيل الله، وإقامة حكم الله على المستهزئين، وتكون كلمتهم هى السفلى وكلمة الله هى العليا. وثانيهما : في حال التمكين وقوة أهل الإسلام، فالواجب جهاد الكفار والمنافقين عملا بقوله تعالى: (يَا أَيـهَا النَّبِي جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) [41]

التوصيات

1. على الأمة الإسلامية اليوم أن تعيد الاحترام والتعظيم والإجلال إلى الله تعالى وكتابه المبين ولنبيه الكريم، ولشرعه المتين بدلا من السخرية والتهكم لتنال رضى الله وتعود لها كرامتها وعزها.
2. . وعلى الأمة أيضا أن تعود إلى دين الإسلام، عقيدة وشريعة قولا وعملا، في جميع مجالات الحياة الخاصة والعامة، بدلا من الاعتقاد الباطل.
3. وعلى الأمة أيضا أن تحفظ حرمة النبي ﷺ في خاصة نفسه، وفي ال بيته وبقية أصحابه، وأزواجه أمهات المؤمنين، وفي سنته وهديه، وتقديم ذلك على اراء الأشخاص، وعصبيات المذاهب، وحزبيات الطوائف والجماعة والفرق، حتى تصبح الأمة واحدة بحق، وما ذلك على الله بعزيز.
4. . ينبغى للمسلمين أن يفيدوا منه مزيداً من المعرفة بدينهم، على قول الفاروق عمر رضى الله عنه : " لا يعرف الإسلام من لم يعرف الجاهلية ! " فمعرفة عند الله. المسلمين بانحرافات الجاهلية المعاصرة تزيدهم معرفة بكمال الدين المنزل من عند الله سبحانه و تعالى

قائمة المصادر و المراجع

1. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الصارم المسلول على شاتم الرسول، بيروت: دار ابن حزم، 1417 هـ، ط. الأول
2. ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد رشد القرطبي، بداية ا تهد، دار الكتب الإسلامية.
3. ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي، المخصص لابن سيده، بيروت : دار إحياء التراث العربي، 1417هـ 1996م، ط. الأولى.

[39] سورة الكهف، آية 56
[40] سورة الصافات، الآية 14
[41] التحريم : 9

4. ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم أبو محمد، تأويل مختلف الحديث، بيروت: دار الجيل، 1393 هـ – 1972 م.
5. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت : دار صادر، ط. الأولى .
6. أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، بيروت لبنان : دار الفكر، 1399هـ - 1979م
7. الأصبحي، مالك بن أنس أبو عبد الله، موطأ مالك، بيروت لبنان : دار الجيل، 1414 هـ - 1993 م، ط. الثانية.
8. الألوسي، شهاب الدين محمود ابن عبدالله الحسيني روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت لبنان : دار الفكر، 1414هـ - 1993 م.
9. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، صحيح البخاري، بيروت لبنان : دار الفكر، 1420 هـ - 2000 م.
10. الحميدي، محمد بن فتوح، الجمع بين الصحيحين البخاري والمسلم، بيروت لبنان : دار ابن حزم، 1423 هـ - 2002 م، ط. الثانية
11. الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تفسير القرآن العظيم، مكتبة النور العلمية، 1416 هـ \ 1995 م
12. الذهبي، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، ميزان الإعتدال، بيروت لبنان : دار الفكر
13. الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية
14. الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، بيروت، دمشق : دار الفكر المعاصر، 1418 هـ، ط. : الثانية
15. سعدي، أبي عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر، ال تفسير السعدى، بيروت لبنان : دار الخير، 1415 هـ - 1995 م
16. الطاهري، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، بيروت لبنان : دار الفكر، 1403 هـ - 1983 م
17. الغزالي، محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، إندونيسيا : دار إحياء الكتب العربية
18. فخر الدين، محمد الرازي، تفسير الفخر الرازي، بيروت لبنان : دار الفكر، 1415 هـ - 1995 م
19. محمد أحمد جار المولى، محمد أبو الفضل إبراهيم، على محمد البجاوى، السيد شجامة، قصص القرأن، بيروت لبنان : دار الفكر
20. النواوي، رياض الصالحين، عمّان الأردن : د ار الأسامة، 1420 هـ - 1999 م، ط. الرابعة